ثالثا- انهيار منزل آشر لـ إدغار آلان بو - (قصة قصيرة)

في أحد أيام الخريف وفي تلك الليلة المقفرة الشديدة الظلمة سافرت وحدي ممتطياً جواداً لزيارة منزل السيد آشر، وبعد أن ظهرت معالم المنزل من بعيد، بدا وكأنّ روحي قد انقبضت وبدأتُ أشعر بالكآبة ممزوجة بالرهبة لا أدري لماذا، كما شعرت بحزن غريب كان قد اعتراني وهذا الحزن - كما أحسست - كان انعكاساً للحزن والذّبول اللّذيْن كانا يطلاّن من ذلك المنزل الذي كنت متوجّهاً إليه.

كانت نوافذه شديدة السّواد مثلها مثل العيون السّود لوجه اعتصره الشّحوب، وكانت بجانبه الجذوع البيضاء لأشجار لا حياة فيها. وكان يقع على ضفاف بحيرة مياهها الراكدة تعبر هي الأخرى عن حزن وذبول ذلك المنزل. وفي النهاية، أوقفتُ كل محاولاتي لحلّ لغز ذلك الشعور الغريب والحزن الذي اعتراني، فعبرت البحيرة واتجهت إلى المنزل.

كان مالك المنزل - ويدعى رودريك آشر Roderick Usher - من أعزّ أصدقاء الطّفولة بالنسبة إلي، ولكن مرّت سنوات عدّة منذ آخر لقاء لنا، وقد أرسل إليّ مؤخراً دعوة عاجلة لزيارته، بل لقد ترجاني لأمكث عنده لبضعة أسابيع، وقد أرسل إليّ شارحاً بأنه يعاني من مرض عضال ألمّ به، مرض أثر على عقله، وقال لي بأن رفقتي سوف تخفف عنه الكثير من آلامه وهواجسه بل وستسعده. كان صادقاً في كلّ ما قاله لي وأكثر من ذلك بأنني لم أتردّد في الموضوع ولبيت طلبه وها أنا ذا قد جئت إلى منزل آشر.

وعلى الرّغم من أنّ السيد "رودريك" آشر كان صديقي منذ الطفولة، إلا أنني لم أكن اعرف عنه الكثير، كما أنني أتذكر بأنه كان دائماً هادئاً بطبعه، كما لم يكن يحب الاختلاط بالآخرين. وعرف عن عائلة السيد آشر منذ القدم ميولها الشّديد والغريب إلى الخيال وكان هذا قد انعكس على أعمالهم الفنية والموسيقية على مر العصور. كما عرفت أيضا بأنّ "رودريك" يعيش وحيداً حالياً ولا يوجد لديه أقارب إنه آخر فرد من عائلة آشر. حتى أنّ منزل آشر لم يعن منزلا وأرضا فقط بالنسبة إلى الناس ولكنه كان يعني أيضا عائلة آشر.

وبمجرد أن اقتربت من المنزل الكئيب قفزت فكرة غريبة إلى رأسي، اعتقدت بأن الهواء الذي كان يدور حول المنزل مختلف كلياً عن الهواء في بقية المناطق، كان هواءً فاسداً أعتقد بأنه ناتج عن الأشجار الذابلة والبحيرة الراكدة وكذا الحيطان الكئيبة التي كانت تحيط بالمنزل، بل شعرت لوهلة بأنّ الهواء نفسه كان كئيباً، كان يحيط بالمنزل كسحابة ضبابية، كنت أحاول بصعوبة بالغة أن أطرد هذه الهواجس من عقلي.

أستطيع أن أرى المنزل بوضوح الآن بعد أن اقتربت منه بمسافة كافية، كان منزلاً حجرياً قديماً جداً، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان البيت مكتملاً، بمعنى أنّه لم يسقط أي جزء منه؛ ولكنه وعلى الرغم من ذلك، كان قابلا للسقوط في أية لحظة، لم يكن هناك أي علامات لضعف المنزل سوى ذلك التشقق الطويل الضيق الذي امتد من أعلى السطح من الناحية الأمامية للمنزل حتى مستوى الأرض.

أخذ الخادم حصاني، ودخلت بوابة المنزل، قادني الخادم بصمت عن طريق العديد من الممرات الملتوية نحو غرفة السيد "رودريك"، وأثناء سيري مع الخادم رأيت تبدو عادية وموجودة في أي منزل إلا أنه كانت لها الأثر الغريب في نفسي فقد رأيت بعضل من الزينة والستائر السميكة وبعض الدروع والأسلحة كما رأيت صفاً من الصور؛ وبينما كنت أصعد السلالم إلى أعلى قابلت طبيب العائلة الذي بدا وكأنه مستغربٌ بل وظهر عليه الخوف بمجرّد أن رآني.

كانت غرفة مالك المنزل كبيرة جداً ومرتفعة، كما كانت معتمة، ومفروشة بأثاث من الطراز العتيق، وكانت هناك العديد من الكتب والآلات الموسيقية المبعثرة، ولكن كل هذه الأشياء فشلت في إضفاء الحياة على المنزل، كما شعرت بأنني أتنفس هواءً مليئاً بالحزن والكآبة.

رحب بي" آشر" بحرارة، وجلسنا معا بعض ا لوقت، وكنت أتطلع إليه وقد اعتراني شعور عظيم بالإشفاق عليه؛ لقد تغير كثيراً . صحيح أنّه كان يبدو عليه بعض الشحوب في الماضي، ولكنّ شحوبه كان كبيراً هذه المرّة. وبالطبع لم أر في حياتي قط إنسانا قد تغير تغيراً رهيباً في فترة وجيزة مثل صديقي"رودريك آشر"، وبدت عيناه أكثر جحوظاً من قبل وباهتة، وبدا حجمها غير طبيعي، كما تحولت شفتاه إلى خيط رفيع أسفل أنفه، أما شعره فقد أصبح مجعداً وأشعثا، كما أنّ وجهه بدت عليه بوادر شيخوخة مبكّرة.

لم يكن التغيير في صديقي "رودريك" شكلياً فقط، ولكن سلوكه أيضا قد تغير. فقد أصبح كثير القلق وكان الاضطراب بادياً بوضوح على وجهه،كما أنّ صوته قد تغير أيضا؛ ففي الماضي كان صوته جهورياً قوياً، أما اليوم فقد أصبح ضعيفاً يشوبه الكثير من القلق والحذر. كان صوته مثل رجل ثمل انتهى لتوه من شرب كميات كبيرة من الكحول. وقد أخبرني بصوته الثمل، برغبته الشديدة في أن يراني، كما عبر عن اعتقاده بأن قدومي سيجلب له الكثير من الراحة والطمأنينة. بدأ بالحديث مطولاً عن مرضه الذي كان -على حسب تعبيره- لعنة قد حلت به وبعائلته قبله. وبدا مرضه لا علاج له -على حد تعبيره -، كما عانى كثيراً من حدة إحساسه. وقد نصحه الأطباء بنوعية معينة من الأكل كان لا طعم له، وكان مجبراً على ارتداء نوعية معينة فقط من الملابس، كما أنّه لا يستطيع تحمل رائحة الزهور، و كان الضوء المباشر يؤذي عينيه، كما كان ممنوعاً من الاستماع إلى صوت الموسيقى إلاّ من بعض الآلات الموسيقية التي كانت موجودة في بيته؛ قال لي: "أنا خائف من المستقبل، ليس من أحداثه ولكن من تأثير أحداثه عليّ، إنني أرتعد بمجرد التفكير بأتفه الأمور التي ربما تزيد من حالة الاحتقان التي أعاني منها. أعتقد بأن الحالة الرهيبة التي تعتريني ـ أي الصراع مع الخوف- سيأتي يوم أسلم فيه روحي وجسدي لها، وهذا اليوم أشعر بأنه قريب."

كانت صدمة عنيفة بالنّسبة إليّ أن أعلم منه بأنه لم يغادر منزله منذ سنوات طويلة، قال لي: "إن المنزل وحيطانه، وكذا أبراجه كان لهم الأثر الكبير عليّ، فهناك قوة غريبة تقيدني بها، كما لو أنها مخلوقات حية". أحسست بالألم، ولم أجد ما أقوله لصديقي.

اعترف ـ بالرغم من أنه تردد في البداية ـ بأنّ معظم الحزن الذي يعتريه كان ذا منشأ طبيعي وبسيط، كان سبب حزنه هو المرض العضال المزمن الذي ألم بأخته التي كان يكنّ لها حباً عميقاً، فقد رافقته أخته لسنوات عديدة، وكانت آخر قريب من عائلته، قال بصوت تملؤه المرارة، لا يمكنني أن أنساه ما حييت: "إنها على وشك الموت، وموتها سيُبقيني وحيداً في هذه الدنيا، وآخر شخص من عائلة آشر". وبينما كان يتحدث إلي دخلت أخته الغرفة ببطء وكانت تدعى "الليدي مادلين"، ولم تلحظ وجودي بينما كنت أتحدث مع أخيها في الغرفة، وعندما نظرت إليها شعرت بدهشة وخوف عظيمين لم أعرف سببا لهما، وبمجرد ذهابها نحو صديقي وكان هذه المرة قد غطى وجهه بيديه حتى يحجب سيل الدموع الذي انهمر من عينيه.

كان مرض "الليدي مادلين" قد أربك أمهر الأطباء، وجعلهم يقفون عاجزين أمام حالتها. كما أنها الآن لم تعد تهتم بشفائها أو حتى موتها نتيجة لذلك المرض، وكان يبدو عليها الضعف الدائم، حتى بدت هزيلة وكان هذا له تأثيره الأكبر على نبضات قلبها. وبقلب جريح وحزن عميق أخبرني صديقي بأنه لم يعد هناك فرق كبير بين حالتها السيئة وموتها المحتوم، فقال لي بألم : "يجب عليها الآن أن تغادر الفراش، كما أنّني لا أظن بأنك ستراها ثانية."

وبعد أيام من وصولي إلى منزل" آشر" لم يذكر أحدنا اسمها. وخلال هذه الفترة، حاولت قصارى جهدي لكي أجلب السعادة والسرور إلى قلب صديقي، فقمنا بالرسم معا، كما كنا نقوم بالقراءة. وكنت أستمتع بسماع عزفه على الموسيقى وكأنني كنت في حلم، وقد توطدت صداقتنا أكثر وكنا نتفق في الكثير من الآراء. ولكن وعلى الرّغم من ذلك، فقد شعوره بالبؤس والشقاء أعظم.

كما أنني لن أنسى ساعات البهجة والسعادة التي قضيناها معا على الرّغم من أنني لا أستطيع وصف شعوري تجاه ما كنا نقوم به معا، فقد كان صديقي "آشر" رجلا ذا مبادئ ومعتقدات نبيلة، ولكنها تأثرت كثيرا خلال مرضه الطويل، وأصبح الآن يعبر عن كل ما يعتريه من شعور وأفكار بالرسم والموسيقي فقط في كثير من الأحيان. وفي إحدى المرات، عندما نظرت إلى إحدى لوحاته ظننت لبُرهة قد فهمت شيئا ما، غير أنّني في الحقيقة لم أستطع فهمها كثيرا، كما أنني أتذكر تلك اللوحة التي رسمها، لأنني كلما نظرت إليها شعرت برجفة لا أعلم سببا لها. وكانت اللوحة عبارة عن طريق طويلة جدا تحيط بها أسوار منخفضة الارتفاع ملساء وبيضاء اللون، وكانت خلفية هذه اللوحة توحي لبُرهة هذه الطريق تمتد إلى أسفل وأسفل تحت سطح الأرض، كما لا يوجد طريق غيره يجذبك إلى أسفل قاع الأرض، لم تكن هناك إضاءات أو أيّ مصدر آخر للضوء في الطّريق على الرّغم من أنّ اللوحة كانت مغطاة بحزمة من الأشعة الضوئية.

في أحد الأيام، كنا نتحدث فأخبرني بأنه يؤمن لبُرهة كل أنواع النباتات لديها القدرة على الشّعور والإحساس، كما أخبرني أيضا عن إيمانه لبُرهة الأشياء الجامدة أيضا لها هذه القدرة تحت ظروف معينة. وكان معتقده هذا مرتبطا بالحجارة القديمة الغبراء التي كانت متراصة فوق بعضها لتشكل منزله القديم، فقد كان يعتقد لبُرهة هذه الحجارة الغبراء العتيقة، والطريقة التي تم بها ربطها مع بعضها قد أعطتها نوعا من الحياة، وكذا

مياه البحيرة والأشجار الميتة المحيطة بالمنزل كلها قد اشتركت مع بعضها في خاصية الحياة؛ فقد قال لي: "الدليل على وجود حاسة الشعور لدى مياه البحيرة والحيطان وكذا الأشجار الميتة، يكمن في التطور التدريجي للهواء المحيط بها". وحينها، تذكرت الشعور الذي اعتراني حين رأيت كل هذه الأشياء بمجرد وصولي إلى منزله، فحبست أنفاسي أثناء متابعة كلامه، فقال لي: "إن لهذا الهواء تأثيرا صامتا ورهيبا على عائلتي، وهو السبب لما أنا عليه اليوم". لم أستطع أن أقول شيئا لصديقي.

ذات مساء أخبرني " آشر" بوفاة شقيقته "الليدي مادلين"، وكان هدفه - كما أخبرني – أن سيحتفظ بجثتها لمدة أسبوعين في إحدى غرف المنزل الكثيرة الموجودة في الأسفل قبل أن توارى الثرى، وكان سببه في هذا القرار يبدو لي منطقيا إلى حد ما، فقد أخذ في اعتباره طبيعة المرض الذي كانت تعاني منه، بمعنى أنه كان يريد أن يتأكد من موتها قبل دفنها في مقبرة العائلة.

وقد ساعدته في عمل كل الترتيبات اللازمة حيال ذلك، وقمنا نحن الاثنان بحمل الجثة داخل النعش ووضعناها في إحدى الغرف الصغيرة في الطابق الأسفل وكانت مظلمة ورطبة، كانت الغرفة تستخدم في الماضي في الأوقات العصيبة التي مرت بها عائلة "آشر"، فقد كانت مخزنا للذخيرة وبعض المواد الخطرة الأخرى، وكان جزء من أرضيتها ومدخلها مغطى بالنحاس، كان باب الغرفة الحديدي الكبير مغطى هو الآخر بالنحاس، قمنا بوضع التابوت على طاولة صغيرة، وفتحنا غطاء التابوت بشكل جزئي وألقينا نظرة على الجسد المسجى داخله، وأدركت عندها حجم الشبه الكبير بين الأخ وأخته، نظر إلي صديقي " آشر" وكأنه كان قد قرأ أفكاري، وقال لي بأنهما - هو وأخته- توأم، كما أن عاطفتهما الكبيرة كانت مشتركة أيضا، كان هناك لون باهت على وجه الفتاة ورقبتها، وبدت ابتسامة باهتة ظهرت جلية على شفتيها، لم ننظر طويلاإليها وقمنا بإغلاق التابوت، وعند خروجنا من الغرفة أغلقنا الباب خلفنا وتوجهنا نحو الطابق العلوي من المنزل.

بعد ثلاثة أو أربعة أيام من الحزن الشديد، لاحظت تغيرا ملحوظا في سلوك صديقي، بدا وكأنه قد أهمل أو هجر هواياته المفضلة من العزف والرسم والقراءة، وكان يتنقل من غرفة إلى غرفة شاردا حزينا، وبدا أن وجهه ازداد شحوبا، كما انطفأ بريق عينيه. في بعض الأحيان شعرت بأن هناك سرا في حياته أراد أن يخبرني به، ولكنه لم يملك الشجاعة الكافية للبوح به، وفي أوقات أخرى كنت أراه جالسا لساعات طوال مصغيا بانتباه شديد إلى بعض الأصوات الخالية كما لو أنه يتوقع حدوث شيء غير طبيعي. ويا للعجب بدأت حالته الغريبة تملأني بالخوف لأنني بدأت أشعر بتأثير قوي لأفكاره الرهيبة تنتقل إلي.

بعد سبع أو ثمان ليال من وفاة "الليدي مادلين"، بدأت أستشعر بالقوة العظيمة لهذا الشعور، فقد كنت مستيقظا لساعات طوال في الليل، مقاوما أي شعور بالخوف يداهمني، وقد أرجعت الكثير من شعوري هذا إلى كل ما يحيط بي في الغرفة مثل الأثاث المترب والستائر الممزقة التي كانت تتمايل بقوة بفعل الرياح والعواصف التي كانت تهب بالليل، وكذا السرير العتيق الذي كنت مستلقيا عليه. ولكن كل محاولاتي لمقاومة الخوف باءت بالفشل، وأخيرا استيقظت مذعورا ونظرت حولي بكل ما أوتيت من قوة فقد كانت

الغرفة شديدة الظلمة، وسمعت أو خُيل إلي لأنني سمعت بعض الأصوات الخافتة تأتي من وقت إلى آخر، وقد استغللت وقوف الرياح العاتية لوقت قصير، فقمت وارتديت ملابسي بسرعة، وكنت أرتجف كثيرا، ولكن هل من شدة الخوف أم من شدة البرد؟ لست ادري.

ولتهدئة روعي، مشيت بسرعة ذهابا وإيابا داخل الغرفة، قمت بذلك مرتين أو ثلاثا، عندما سمعتُ طرقا خفيفا على باب غرفتي، ودخل "آشر" الغرفة، كان يحامل معه مصباحا والذعر بادٍ على عينيه، وصاح نحوي فجأة قائلا: "أنت لم تره؟، ولكن انتظر سأجعلك تراه"، قال هذا وسلط بجذر ضوء مصباحه وأسرع نحو إحدى النوافذ وفتحها، ورماه نحو العاصفة في الخارج.

دخلت العاصفة من النافذة ومن شدة قوتها بدأت ترتفعنا إلى أعلى، ولكن لم تكن الرياح العاتية هي من شدّ انتباهنا ولا السحب الكثيفة التي كانت تدور حول المنزل في كل الاتجاهات، لم نكن نرى القمر ولا النجوم، ولكن المنزل وكل الأشياء التي كانت تدور حوله حتى السحب من فوقنا كانت تومض بوميض غريب، كان ضوءا غير اعتيادي؛ كان ذلك الضوء الغريب ينبعث من الحيطان المحيطة بالمنزل وكذا من مياه البحيرة، فصرختُ بوجهه بفزع قائلا: "لا يجب عليك أن تنظر إلى هذا" في الوقت الذي قمت بسحبه من النافذة إلى أحد كراسي الغرفة، فقلت له محاولا تهدئته: "إنّ هذا الضوء الذي يزعجك ما هو إلاّ تشوّش كهربائي لأيونات الهواء، دعنا نغلق النافذة، لأنّ الرياح عاتية وباردة وهذا خطير على صحتك، هذا أحد الكتب المفضلة لديك، سأقرأ لك شيئا منه حتى نستطيع أن نمرر الوقت معاً في هذه الليلة الرهيبة"، بدأت بقراءة الكتاب وبدأ "آشر" بالاستماع أو تظاهر بالاستماع الشديد، كان الكتاب عبارة عن قصة معروفة للكاتب "السير لونسيلوت كانتج"، وبعدما كنت أقرأ لثمان أو عشر دقائق، وصلت إلى الجزء من القصة الذي كانت فيه الشخصية المحورية تتجه إلى منزل الأعداء، وهناك يجب علي تذكر ذلك المقطع من القصة، وكانت الكلمات كالتالي:

"وانتزع اثليرد سيفه، وضرب الباب بضربات عديدة قوية، وقام بشق وكسره، وكان صوت تكسير وتهشيم الباب الخشبي قد ملأ أرجاء الغابة". مع نهاية هذه الجملة من القصة، توقفت قليلا واعتقدت لأنني أسمع صوتا غريبا مثل الصوت المذكور في القصة، كان صوت تحطّم خشب، بدا وكأنه قادمٌ من إحدى الغرف السفلية من المنزل، اعتقدت في البداية لأن هذا الصوت ناجم عن بعض الأعطاب الناجمة عن الرياح العاتية، اعتقدت بأنه لا داعي للقلق واستمريت في قراءة القصة وكانت: "بعدها قام البطل اثليرد بدخول المنزل عبر الباب الذي قام بكسره، ووقف على أرضية من الفضة، كان أمام حيوان مفترس، وكان خلف هذا الحيوان ترس عظيم مصنوع من النحاس الأصفر معلق على الحائط، وكان على الترس كلمات مكتوبة تقول:

"يدخل هنا المنتصر فيقتل الحيوان المفترس فينتصر الترس".

استلّ اثليرد سيفه مرة ثانية بعد قراءته لهذه الكلمات على الترس، وقام وضرب رأس الحيوان المفترس. أطلق الحيوان المفترس صرخات مدوية اخترقت جدران الغرفة وبعدها خرّ جثة هامدة، وسقط

الدّرع مباشرة إلى الأرضية عند قدمي البطل اثليرد". ومرة ثانية، وأنا أقرأ القصة شعرت بشعور غريب وخوف كان قد اعتراني فجأة وكنت مجبرا هذه المرة على وقف قراءتها، وكنتُ - دون شك هذه المرة - قد سمعت صوتا أو بالأحرى صرخة ألم، صدرت مباشرة بعد سماع أصوات بعيدة لمواد معدنية كانت قد ضربت بقوة، لم أكن متأكدا لبّيّ "آشر" كان مثلي قد سمع تلك الأصوات، اندفعت مرتعشا نحو الكرسي الذي كان يجلس عليه، كانت عيناه مثبتتان صوب الباب، كانت شفتاه تتحركان وبعد أن انحنيت أمام شفتيه سمعت هذه الكلمات التي كان يتمتم بها: "هل أنا أسمعها؟ .نعم إنني أسمعها، نعم إنني اسمعها لفترة طويلة، طويلة جدا لعدة دقائق آو عدة ساعات أو ربما عدة أيام، هل سمعتها؟ بالرغم من أنني لا أجرؤ، أو ما أتعسني، إنني إنسان تعيس، لا أجرؤ على الكلام، لقد وضعنا حياتها في تابوت، أ لم أخبرك لبّيّ حاستي قوية جدا؟ وأنا الآن أقول لك لبّيّ أسمع حركاتها الأولى قبل عدّة أيام، على الرّغم من أنّني لا أجرؤ على الكلام. والآن الليلة - اثليرد - هاها - كسر الباب وصرخة الموت للحيوان المفترس وسقوط الترس، قل بدلا من دفع تابوتها وصرخاتها وصراعها من داخل التابوت، أوه أين يمكنني أن اختبئ؟ هل يمكن أن تكون هنا في الحال؟ ألا يمكن لها أن تأتي إلى هنا وتوبخني على تهوري هذا؟ ألم اسمع وقع خطواتها على السلم؟ ألا يمكنني سماع ضربات قلبها المتسارعة؟ مجنون، "بعدها قفز على قدمه وصرخ صرخة مدوية بالكلمات التالية: "مجنون، إنني أخبرك أنها تقف الآن خارج الباب."

كما لو أن هناك قوة خفية تولدت من جراء صوته المدوي، انفتح الباب الكبير من جراء العواصف العاتية، ولكن بعدها وخارج الباب وقفت هناك هيئة طويلة مرتدية كفنها، كانت "الليدي مادلين" أخت "آشر"، وللحظة بقيت ترتجف على الباب، بعدها أطلقت صرخة خافته وسقطت بجانب أخيها، شعر "آشر" بصدمة قوية، مما جعله يسقط جثة هامدة من هول المفاجأة، وما هي إلا لحظات قليلة حتى سقطت أخته صريعة بجانبه.

هربت من تلك الغرفة وكذا من المنزل، بكل ما أوتيت من قوة وكنت مرعوبا جدا، ولم أنظر خلفي حتى وصلت إلى تلك البحيرة، سمعت صوتا مدويا كان قد ملأ الأجواء من حولي، وبمجرد أن نظرت حولي بفزع، حتّى سمعت صوتا قويا ومرعبا كنت قد سمعته من قبل، ذلك الصوت الذي كان قد خرج من سقف المنزل إلى الأرضية التي كانت تلفها الرياح العاتية. كان صوتا يشبه ذلك الصوت الذي أطلقه الحيوان المفترس عندما قتله اثليرد في القصة، انهارت أعمدة المنزل وصاحب ذلك الانهيار صوت مدوي، كان صوت مياه البحيرة، وكانت هائجة جدا. وفجأة اتجهت مياه تلك البحيرة المظلمة السحيقة العمق صوب المنزل و.....والتهمته في الحال.

ملاحظة:

أنصح الطّلبة بقراءة القصّة في لغتها الأصلية (اللّغة الإنجليزية)، أو على الأقّل -إن تعذّر ذلك- فباللّغة الفرنسية، لأنّ متعة القراءة ستكون أكبر.

رابعا- تحليل قصّة "انهيار منزل آشر":

يمتلك "انهيار منزل آشر" السمات الجوهرية للحكاية القوطية: منزل مسكون، ومناظر طبيعية كئيبة، ومرض غامض، وشخصية مضاعفة. وعلى الرغم من جميع عناصر القصّة القوطية يمكن يمكن التعرف عليها بسهولة، إلاّ أنّ جزءًا من رعب هذه القصة يكمن في غموضها.

بداية، لا يمكننا تحديد زمن وقوع القصّة ولا مكان حدوث أحداثها؛ وبدلاً من الوحدات السردية – الشّائعة- كالمكان والزمان، يستخدم "بو" العناصر القوطية التقليدية مثل الطقس العاصف والمناظر الطبيعية القاحلة. فنجد أنفسنا في مكان مغلق وحدنا مع الراوي في هذه المساحة المسكونة.

وعلى الرغم من كون الرّاوي أكثر أصدقاء "روديريك" حميمية، إلاّ أنّه –كما يبدو- لا يعرف الكثير عنه، مثل حقيقة أنّ رودريك لديه أخت توأم.

يدفعنا "بو" إلى التّساؤل عن الأ سباب التي جعلت "رودريك" يتّصل بالراوي –بعد ما انقطعت حبال الوصل بينهما منذ سنوات طويلة- في هذه الفترة من الزّمن بالذّات، ثم ذلك الإصرار الغريب الذي أدّى بالرّاوي إلى تلبية دعوة "رودريك".

وبينما يوفر "بو" لبنات البناء المميزة للحكاية القوطية، فإنه يقارن هذا النموذج ال شّائع بمؤامرة لا يمكن تفسيرها، مفاجئة، ومليئة بالاضطرابات غير المتوقعة. إذ تبدأ القصة دون شرح كامل لدوافع الراوي ل زيارة منزل آشر، وهذا الغموض يحدد نغمة المؤامرة التي تحجب الواقع والعجائبي.

يخلق "بو" إحساسًا برهاب الأماكن المغلقة في هذه القصة ، هو نوع من الكلوستروفوبيا Claustophobia*. إذ تتمّ محاصرة الراوي بشكل غامض ، بسبب إغراء ينتج عن الانجذاب نحو "رودريك"، ومحاولة مواساته، بحيث لا يستطيع الابتعاد عنه أو مغادرة المنزل. الأمر الذي لا يمكّنه من الهروب حتى ينهار منزل "آشر" بالكامل.

لا تستطيع الشخصيات أن تتحرّك وتتصرف بحرية في المنزل بسبب هيكله، لذلك فهي تفرض شخصيات وحشية خاصة بها -فالعقل القوطي المدبّر هو الذي يتحكم في مصائر سكان المنزل-.

يخلط "بو" ارتباكًا بين الكائنات الحية والأشياء الجامدة من خلال التّداخل الذي يحدثه بين منزل "آشر" المادي مع خط العائلة الجيني لعائلة "آشر"، والذي يشير إليه باسم منزل "آشر". يستخدم بو كلمة "منزل" بشكل مجازي، لكنه يصف أيضًا منزلًا حقيقيًا.

لا يقتصر الأمر على الراوي داخل القصر فحسب، ولكننا نتعلم أيضًا أن هذا الحجز يصف أيضا المصير البيولوجي لعائلة "آشر". لا يوجد للعائلة فروع دائمة، لذلك حدث كل انتقال وراثي بشكل محكم داخل نطاق المنزل. يخلط الفلاحون بين القصر وعائلة "آشر" لأن الهيكل المادي قد أملى بشكل فعال الأنماط الجينية للعائلة.

---

* الكلوستروفوبيا Claustrophobia أو رُهاب الاحتجاز/ أو رُهاب الأماكن المغلقة: هو الخوف النّاتج عن وجود الشّخص في مكان ضيّق أو مغلق، وهو أحد الأمراض النّاجمة عن القلق. ويعاني المصابون برُهاب الأماكن المغلقة من الخوف من يظلّوا محتجزين في: الغرف الضّيّقة، الغرف المقفلة، الأنفاق، الأقبية، المصاعد.... وعادة ما يؤدّي كلّ ذلك إلى حدوث نوبات ذعر.